الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيجل

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

موجز محاضرات مقياس معاجم الألفاظ،

لسانيات عربية، ماستر: 1، 2023-2024

د شعيب حبيلة

موجز المحاضرة الرابعة: الرواية الشفوية وطرق الجمع:

مما اتفق عليه في المعجمية العربية أن صناعة المعاجم مرت بمراحل ثلاث هي: جمع مفردات اللغة جمعا تلفيقيا من غير نظام ظاهر، ثم ترتيبها في حقول دلالية جمعت فيما سمي بعد بالرسائل اللغوية، فترتيبها عصرَ التدوين مبوبة بين معجمات موضوعات ومعانٍ، وبين معجماتِ ألفاظ مجنسة. هذه المراحل مفسرة لما ظهر بعدُ من تخصيص اصطلاحي منسوب إلى المعجمية حصرا، أعني مبدأيْ الجمع والوضع اللذين نصَّ عليهما ابن منظور في مقدمة معجمه آخذا إياهما عن مصادره المدونة والمروية. وقبل أن نفصل في مفهومي مفردتي المحاضرة لا بد من بيان أصلهما وعلاقتهما بالعلوم الإسلامية، كون اللغة وما اتصل بها معدودة في جملة علوم الآلة المسخرة لاستنباط الأدلة من النصوص الدينية، حسب البراديغم الذي شغل علماءنا المتقدمين.

الرواية الشفوية منهج مطرد عند أكثر الحضارات التي وقع عليها وصف الأمية قبل اشتغالها بالتدوين. مثال ذلك تعاليم بوذا التي نُقلت أربعة قرون عبر الرواية الشفوية منذ وفاة بوذا نفسه إلى أن وثقت باللغة (البالية) حوالي سنة 80 قبل الميلاد. منهج العلماء المتقدمين فيما رووه من

كلام العرب متسق مع رواية الحديث الشريف من جهة حرصهم على الإسناد عمن سمع من الأعراب وشافههم خاصة ما تعلق بالغريب والنادر، لذا تكثر الإحالة في معجمات الألفاظ إلى أعلام اللغويين في بيان معاني المفردات، فتراهم ينقلون عن ابن الأعرابي وعن الأصمعي وعن أبي زيد الأنصاري وعن أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر ... إلخ. فضلا عن لغويين لا نعرف عنهم الشيء الكثير.

بيد أن نقل اللغة بني في الغالب الأعم على شيء من التساهل يدنيه مما عُرف عند النسابين وأهل الأخبار في الجاهلية وصدر الإسلام، إذ يكفي الخليل أو الكسائي أو غيرهما أن يحيلوا إلى (أعرابي) ليحتجوا لمعنى المفردة، قال في كتاب العين: « الزَّور: وَسَطُ الصَّدْر. والزور: مَيَلٌ في وَسَط الصّدر. وكَلْبٌ أَزْور: استدقّ جوشنُ زَوْره وخرج كلكله كأنّه قد خُصِر جانباه، وهو في غير الكلاب مَيَلٌ لا يكون معتدل التّربيع. **قال أعرابيّ**: الزَّوْر للزّائر، أي: صدرُ الدّجاجة للضّيف». [العين]. وهذا مطرد في شتى كتب اللغة وفي معاجم الموضوعات أيضا.

يمثل الخليل الفراهيدي (ت 175/170 هـ) وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 209 هـ) وأبو زيد الأنصاري (ت 215 هـ) وأبو سعيد الأصمعي (ت 216 هـ) الطبقة الثالثة من رواة اللغة وهم أكثر توسعا وغيرهم عالة عليهم في باب الجمع، ولنأخذ التقسيم الذي ارتضاه إبراهيم بن مراد في مصادر الخليل الخمسة[1] -أي في طرق الجمع- التي منها استقى مادته -بصرف النظر عن الإشكالات التي أثيرت حول أصالة كتاب العين ونسبته إليه-:

[1] - ينظر: الشاهد والفصاحة في القاموس العربي، من المعجم إلى القاموس، إبراهيم بن مراد، ص 183 وما بعدها.

1)- المتكلمون: والمراد الرواة، أي رواة اللغة من الأعراب.

2)- الشعر سواء الجاهلي أو الإسلامي.

3)- الحديث النبوي.

4)- المنثور من كلام العرب.

5) – الأمثال.

لم يقتصر الخليل الفراهيدي في جمع اللغة على ما روي عن الأعراب بل توسع فأخذ عن سكان الحواضر (البصرة والكوفة وبغداد) والأمصار (أهل العراق عامة والشام واليمن ومصر واليمن)، فضلا عن كلام العامة بوصفه مستوى من مستويات العربية الدنيا. يفسر إبراهيم بن مراد هذا التوسع بغرض الخليل الرئيس أي جمع كلام العرب لغاية الاستيعاب. ثم يلحظ اختلاف منهج من عاشوا بعده في تقييدهم دائرة اللغة المقبولة من مثل ما حدث مع الأصمعي في رفضه شعر ابن قيس الرقيات وذي الرمة. والحق أن الذي يراجع منهج المتقدمين نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجريين سيلحظ أنه واحد، وأن ما زاد في كتاب العين عن القيود الزمكانية المعتمدة لا يمكن أن يعتد به، ولا يصح فيه إلا أن القول بأنه مزيد بعد الخليل.

رغم هذا التفصيل وهذه الأشكلة فإن المعاجم الآخذة عن كتاب العين لم تسقط المصادر التي يمكن أن تعد مرفوضة عند المتشددين خلا بعض النقود التي نجدها عند أبي منصور الأزهري في مواضع من (التهذيب). وبناء على الإحصاء الذي أنشأه عبد العزيز إبراهيم في «معجم الشعراء في كتاب العين» نجد أن شعر الإسلاميين في كتاب العين يربى على شعر الجاهليين، ومنهم غير

المرتَضين من قبل الأصمعي وغيره، أما القرآن الكريم والحديث الشريف فقد سبق أن أشرنا إلى تأخرهما من حيث الاحتجاج في أكثر معاجم الألفاظ المتقدمة، سواء من حيث تواترها عددا، أو من حيث مركزيتها إن ذُكرت، وهاك نموذجا مما سبق:

قال في العين: «وتقول العرب: فُلانٌ قَطِيعُ القيام أي مُنْقَطِع، إذا أراد القيام انْقَطَعَ من ثِقلٍ أو سمنةٍ، ورُبَّمَا كان من شِدَّة ضَعْفِه، قال:

رَخيمُ الكَلامِ قَطِيعُ القيام ... أمسى الفُؤادُ بها فاتنا

أي مَفتُوناً، كقولك: طَريقٌ قاصِدٌ سابِلٌ أي مَقْصُورٌ مَسْبُولٌ، ومنه قوله تعالى: فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ أي مَرْضَيِةٍّ. ومنه قول النابغة:

كليني لهم يا أميمة ناصِبِ ... وليلِ أُقاسيهِ بطيء الكَواكِبِ

أي مُنْصِب» [العين].

يمكنك أن تلحظ من خلال هذا المثال أن الآية ذكرت من باب التفسير والاستئناس لا من باب الاحتجاج، أي إن ذكرها بيان لأنها لا تخرج عن أسلوب العرب في شيء مما اصطلح عليه زمنَ الجرجاني بالمجاز العقلي معللا بعلاقة الفاعلية.